الوَالدان

وعُقوقُهما

مروه بنت زاهد آل كنه

بِسم الله الرّحمٰن الرّحيم

الحمد لله الوالي، عظيم الجلالِ، القائم علينا، باعث الرّوح فينا، عظيم الكرم كثير النّعم، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، أمّا بعد:
فمن رحمته بنا أن أوجب المربي للولد، يقوّمه إن اعوجّ، ويصحّح له إن أخطأ، يقوم بكلّ أموره، وهو المسؤول عن حزنه وسروره، وقد أوجب الله علينا الواجبات والحقوق، ومنه أن أوجب البرّ وحرّم العقوق، ومن هذا المنطلق، رأيت تعليم الجاهل وتنبيه الغافل، ففي هذا فُتنِوا، وفيه غيرهم فَتنوا.

ولا يخفى على أيّ عاقل عظيم منزلة الوالدين في الإسلام، فقد قرنه الله تعالى بالشّرك في مواضع عدّة، قال تعالى:" ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: 23]

فقد ذكر الإحسان إلى الوالدين مباشرة بعد زجره عن عبادة غيره، ومن الجليّ أن العظيم لا يقترن إلا بعظيم.

قال السّعدي-رحمه الله- في تفسير الإحسان: { وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا } "أي: أحسنوا إليهما بجميع وجوه الإحسان القولي والفعلي لأنهما سبب وجود العبد ولهما من المحبة للولد والإحسان إليه والقرب ما يقتضي تأكد الحق ووجوب البرّ".

واعلم-رحمك الله- أن البر ليس بالعسير، بل هو لمن وُفّق لَيسير؛ فالبرّ قائم على الصّبر والمصابرة، ولين القول وبشاشة الوجه. وذا عامة سلوك المؤمن، وقد أمرنا الله بالإحسان إلى غيرنا في قوله: ﴿ وَقُولُوا لِلنّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: 83].

وذا أمر عام لجميع الناس، المؤمن والكافر، والبرّ والفاجر.

وإن كان العبد مأمورًا بالإحسان إلى النّاس عامة والبرّ بهم، فالوالدان بذاك أحقّ وأخصّ، وذا لعظيم فضلهما علينا، وقد كان رسول الله ﷺ وهو خير الخلق كلّهم. يحسن عشرة من حوله ويتحرّى رضا أهله، وقد قال:"خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي" وقد زار قبر أمّه بعد وفاتها؛ برّا بها ومحبة لها، ولم يأذن له الله بالاستغفار لها فلم يفعل؛ إذ إنّها ماتت كافرة، فهل يستقيم أن نعقّ والدينا إن كان هذا بر رسولنا بأمه؟ وفيه ﷺ لنا أسوة حسنة

إكرام أخلّاء الوالدين

ومن البرّ -وقد يكون بابًا عظيمًا فيه- إكرام أصحاب الوالدين وأخلائهم، ومن يودّون؛ لما في ذلك من إدخال السّرور لأفئدتهم، ودفع الحرج عنهم، فمن المعروف أنّ الأطفال يعكسون -غالبًا- بأفعالهم أقوال الوالدين عن الآخرين، فإن مدح الوالد شخصًا أحبّه الولد، وإن ذمّ شخصًا كرهه.

"وعن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما ـ أنَ رجلًا من الأعراب لقيه بطريق مكّة، فسلّم عليه عبد اللّه بن عمر، وحمله على حمار كان يركبه، وأَعطاه عمامةً كانت على رأسه، قال ابن دينارٍ: فقلنا له: أصلحك اللّه إنَهم الأعراب وهم يرضون باليسير، فقال عبد الله بن عمر: إن أبا هذا كان ودًّا لعمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وإنِي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنّ أَبرَ البرّ صلة الرّجل أَهل وُدِ أَبيه»".

وهذا تطبيق فعليّ على هذا الحديث، ممّا يجعلنا ندرك اهتمام الصّحابة والتّابعين بطاعة النّبيﷺ.

ولمّا كان البرّ واجبًا وإن كان الوالدان قساة، وإن قصّرا في واجباتهما، قال الإمام ابن القيّم -رحمه الله-:"والأبوان وإن قصّرا في بعض الحقوق فلا يسقط ذلك عنهما حق البرّ والإحسان".
وعلى الولد أن يبرّ والديه تقرّبًا لله وعليه أن يخلص نيّته في ذلك، لئلا يجزع حين يؤذيانه أو يقصّران في حقّه.

واعلم -هداك الله- أنّك بعقوقك هذا ارتكبت كبيرة من الكبائر، ومرتكب الكبيرة فاسق، وأيّ مسلم يرضى بالفسوق؟ قال ابن عمر -رضي الله عنهما- جاء أعرابي فقال: يا رسول الله! ما الكبائر؟ قال: "الإشراك بالله" قال: ثم ماذا؟ قال "ثمّ عقوق الوالدين".
بل الأمرّ من ذلك أنّ العاقّ موعود بالحرمان من الجنّة.. قال ﷺ: "لا يدخل الجنّة عاق، ولا مكذّب بالقدر" فافهم واعتبر.

شيوع العقوق

وقد كثر العقوق في زمننا إلى أن صُيّر البارّ بوالديه "ضعيف الشّخصية"، فتجد الصالح يُعيّر لصلاحه، والبار لبرّه، ومن صور العقوق:

- الامتناع عن طاعتهما، وتجاهل حديثهما، وعدّ ما يقولانه كلامًا مزعجًا أو حتّى كلام مجانين ولا حاجة لأن يأبه بهما، وهذا خطأ عظيم، ولنا من السّلف قصّة، كان الإمام حيوة بن شريح - رحمه الله - يقعد في حلقته يُعلّم النّاس، فتقول له أمه: قُمْ يا حيوة وألق الشّعير للدّجاج، فيقوم ويترك التّعليم.

يترك التّعليم -وفيه عظيم الأجر- ليطيع والدته ويُطعم الدّجاج -وأجره أعظم لمن تفكّر- ، وفي زمننا نعصي أوامر الوالدين للهو ولعبٍ، فأين نحن منهم؟

- التّحديق فيهما بحدّة والنّظر لهما بسوء، وهذا من إيذائهما.

"عن أبي بكر بن عياش قال: ربما كنت مع منصور بن معتمر - رحمه الله - في منزله جالسًا، فتصيح به أمه، وكانت فظة غليظة، فتقول: يا منصور يريدك ابن هبيرة على القضاء فتأبى عليه؟! وهو واضع لحيته على صدره ما يرفع طرفه إليها".

على الرّغم من كونه مع أصحابه ممّا قد يجعله في موقف محرج إلّا أنّه لم يتجرأ عليها، لله درّ

-سلاطة اللسان معهما وحدة الطّباع، وقد يتنازل الوالدان ويتقيان غضبه، لا محبة فيه بل درءًا للفتن ودرءًا لمشاكله، فتجده سيئ الخلق جاف الطّباع وهو من أشر الناس، قال ﷺ: "إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه" (متفق عليه)

- رفع الصّوت عليهما، وفي هذا خطآن: المجادلة ورفع الصّوت.

"وعن محمد بن عمر بن حرب، قال لنا بعض أصحابنا عن ابن عون - رحمه الله -: أنه نادته أمه فأجابها فعلا صوته صوتها، فأعتق رقبتين".

وقد قيل للإمام الشّافعي: "أيتخاصم الرّجل مع أبويه؟"
قال: "ولا مع نعليهما".

ومنه أنّ إثبات الحجة على الوالدين عقوق حتى وإن كنت على حق، فأيّ جدال تبتغي بعد زجر الله لك في قوله: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: 23] فقد عُرف أن حرف الفاء أضعف الحروف، فبأي حق تُجادل وتُناقش إن كنت منهيًا عن إيذائهما بأضعف حرف؟

سبيل البرّ

واعلم -وفّقك الله- أن اليتم نوعان:
أمّا الأول: هو الفقد حقيقة.
أمّا الثّاني: هو فقد رضاهما.
فحذار أن تكون من الفئة الثّانية، فكما عانت الفئة الأولى الفقد في الدّنيا ، ستعاني الثّانية نار جهنّم في الآخرة.

وبعد بيان البرّ والعقوق، وجب علينا الإجابة عن سؤال شائع "كيف نبرّ والدينا؟"
ويكون ذلك بالإحسان إليهما بالقول الكريم، والخطاب اللطيف والفعل الجميل، وطاعة أمرهما، واجتناب نهيهما، وإكرام كلّ من له صلة بهما، وصلة الرّحم التي لا رحم لك إلا بهما، وكن كالعبد الذليل بين يدي سيده تظفر.
وللإحسان ضدان: الإساءة وعدم الإحسان، وكلاهما عنه منهيّان.
وفي حديث الرسول ﷺ: "إذا مات ابن آدم؛ انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" (صحيح مسلم) فقد ينزل الرّجل منزلة ما كان لينزلها لو لم يستغفر له ولده، إذ إنّ الدّعاء للوالد بعد موته بر، بل إن أحق حقوقه بعد موته الدعاء.
وقد جعل الله حقّ الأم من البرّ أكبر من حقّ الأب، وذا لحملها به وهنًا على وهن، وشفقتها ورحمتها به، فقد جاء رجل إلى الرّسول ﷺ فسأله: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: "أمك". قال: ثم مَن؟ قال: "أمك". قال: ثم من؟ قال: "أمك". قال: ثم من؟ قال: "ثم أبوك" (متفق عليه).

وكان زين العابدين كثير البرّ بأمه، حتّى قيل له: "إنّك من أبرّ الناس بأمك، ولسنا نراك تأكل معها في صحفة؟"، فرد عليهم: "أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها؛ فأكون قد عققتها".

ولما شكا طيلسة بن مياس إلى ابن عمر ذنوبًا عظامًا قال له ابن عمر: أتفرق من النّار وتحبّ أن تدخل الجنة؟ قال: إِي والله. قال: أَحيٌّ والداك؟ قلت: عندي أمي. قال: فوالله لو ألنت لها الكلام، وأطعمتها الطعام؛ لتدخلنّ الجنة ما اجتنبت الكبائر.

وفي الختام، وصيتي لكم أن اتّقوا الله في والديكم وأهليكم وأنفسكم، واعلموا فضلهم عليكم، وبرّوهم لله لا لسمعة وشهرة، فالرّياء شرك خفي، يُلقي صاحبه في النّار.
والحمد لله رب العالمين والصّلاة والسّلام على سيّد المرسلين، نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.